



26 نوفمبر 2019

من "حديث من القلب" للشهيد / محمد مهدي عاكف - المرشد العام السابق

لحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد، أيها الإخوان: فقد اهتمَّ الإسلامُ غاية الاهتمام بتوثيق عُرى الأخوة التي تُوجِبُ المَحَبَّةَ في الله عَزَّ وَجَلَّ، حتى جعل الأخوة التي جمع عليها القلوب أصلاً من أصول الإيمان لا يتمُّ إلا بها، ولا يتحقق إلا بوجودها؛ بل جعلها أَوْثَقَ عُرى الإيمان وأكمل معانيه، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: من الآية 10) وقال صلى الله عليه وسلم: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُظْلَمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَخْذَلُهُ) (متفق عليه)، وقال صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا شَتَكَ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) (متفق عليه)؛ ولذلك كان من أركان بيعتنا الأخوة، وكان من أصول الإصلاح الاجتماعي الكامل الذي جاء به الإسلام: إعلانُ الأخوة بين الناس.

معنى الأخوة عند الإخوان المسلمين

قال الإمام المؤسس حسن البنا رحمه الله: "وأريد بالأخوة: أن ترتبط القلوب والأرواحُ برباط العقيدة، والعقيدة أوثق الروابط وأعلاها، والأخوة أخت الإيمان، والتفرُّقُ أخو الكفر، وأولُ العقوة قوة الوحدة، ولا وَحْدَةَ بغير حب، وأقلُ الحب سلامة الصدر، وأعلاه مرتبة الإينار ﴿وَيُؤَيِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَخِّ نَفْسِيهِ فَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: من الآية 9) ..

والأخُّ الصادقُ يرى إخوانه أولى بنفسيه من نفسه؛ لأنه إن لم يكن بهم فلن يكونَ بغيرهم، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره، و﴿إِنَّمَا تَأْكُلُ الدُّنْبَ مِنَ الْعَتَمِ الْقَاصِيَةِ﴾ (أبو داود وصححه ابن حبان والحاكم) و﴿الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالنَّبْتِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا﴾ (متفق عليه) ... ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: من الآية 71) وهكذا يجب أن نكون".

الأخوة عندنا دين

لم يزل الإخوان حريصين على تحقيق الأخوة الصحيحة الكاملة فيما بينهم، مجتهدين ألا يُعَكِّرَ صَفْوَ علاقتهم شيء، مدركين أن الأخوة في الدين من أفضل ما يتقربون به إلى الله زلفى، وملتمسين بالمحافظة عليها نيلَ الدرجات العلى، ومن ثمَّ يحرصون على مراعاة حقوقها التي تصفيها عن شوائب الكدورات ونزغات الشياطين، وقد جعل أهل العلم أقل درجات الأخوة أن يعامل الأخُ أخاه بما يحب أن يعامله به.

ومن حقوق الأخوة

الصبر على خطأ الأخ حتى يرجع للحق، من غير تشهيرٍ به أو إشاعةٍ لزلاته، قال أبو الدرداء: "إذا تَغَيَّرَ أخوك وحوال عما كان عليه فلا تَدَعُهُ لأجل ذلك؛ فإن أخاك يَغْوُجُ مرةً ويستقيم أخرى"، وَقَالَ إبراهيم النَّخَعِيُّ: "لا تَقْطَعْ أَخَاكَ وَلَا تَهْجُرْهُ عِنْدَ الدُّنْبِ، فَإِنَّهُ يَرْتَكِبُهُ الْيَوْمَ وَيَتْرُكُهُ غَدًا"، وجاء في بعض الآثار: قال عيسى عليه السلام للحواريين: "كيف تصنعون إذا رأيتم أحاكم نائماً وقد كشف الرِّيحُ ثوبه عنه؟" قالوا: نستره ونُعْطِيه، قال: بل تكشفون عورته! قالوا: سبحان الله! من يفعل هذا؟ فقال: "أحدكم يسمع بالكلمة في أخيه فيزيدُ عليها ويُشَبِّعُهَا بأعظم منها".

وحتى حين تختلف بالإخوان الآراء فإن رابطة الأخوة الصحيحة من الوقوع في الأعراس، أو إشاعة الشبهات، أو ترديد المفتربات، وهم يحفظون كلمة حكيم الفقهاء الإمام الشافعي رحمه الله: "الْحُرُّ مَنْ رَاعَى وَدَادَ لِحَطِيئِهِ، وَاتَّمَى لِمَنْ أَقَادَهُ لِقَطْعَهُ".

ومن حقوق الأخوة التي يدعو إليها الإخوان المسلمون: ما لخصه الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله: "تَطَرُّ الأَخِ إِلَى وَجْهِ أَخِيهِ عَلَى الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ عِبَادَةً، فَلَا تَصُحُّ الْمَحَبَّةُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا بِمَا شَرَطَ فِيهَا مِنَ الرَّحْمَةِ فِي الْجَمَاعِ وَالخَلْطَةِ، وَعِنْدَ الْإِفْتِرَاقِ: بظهور النصيحة، واجتناب الغيبة، وتامم الوفاء، ووجود الأُنس، وفقد الجفاء، وارتفاع الوحشة".

كان يقال: إذا وقعت الغيبة، ارتفعت الأخوة. وما أَلْطَفَ قول أحد السلف يخاطب أخاه الذي هجره:

مَبْنِي أَسَأْتُ كَمَا تَقُولُ *** فَأَيْنَ عَاطِفَةُ الأَخْوَةِ

فليس من أخلاق الأخ المسلم في شيء أن يلتمس أسباب العيب لمن خالفه من إخوانه أو من غيرهم، أو أن يسعى في الانتقاص من فضله، أو التحقير من عمله وعطائه، وينتصون بنصيحة الفاروق عمر بن الخطاب: "لا يَكُنْ خُبُكَ كَلْفًا، وَلَا يَكُنْ بُعْضُكَ تَلْفًا"، فلما سُئِلَ: وكيف ذلك؟ قال: "إِذَا أُخْبِتَ فَلَا تَكَلْفُ كَمَا يَكَلْفُ الصَّيْبِيُّ بِالسَّيْفِءِ بُجْبُهُ، وَإِذَا أَبْغَضْتَ فَلَا تَبْغِضْ بُغْضًا تُجِبُّ أَنْ يَتَلَفَّ صَاحِبُكَ وَيَهْلِكَ" (البخاري في الأدب)، وكان الحسن بن علي رحمه الله يقول: "لا تُفْرِطْ فِي جُبِّكَ، وَلَا تُفْرِطْ فِي بُعْضِكَ، مَنْ وَجَدَ دُونَ أَخِيهِ سَيْئَرًا فَلَا يَكْتِثِفْ" (عبد الرزاق).

ومن حقوق الأخوة: النصيحة بآدابها الشرعية: فلا تشنيع ولا تشهير، ولا تجريح للأشخاص ولا للهيئات، ولا كشف لأسرار الناس، ولا اختلاق ولا كذب، ولا تبرير للخطأ، ولا مجاملة على حساب الحق، ولا رغبة في التشفيع ولا انتصار للهوى، بل هي نصيحة أمينة صادقة، تبتأ بها الذممة، وتؤدي بها الأمانة، مع بقاء المودة وتماء عاطفة الأخوة.

أخوتنا أحد أسرار قوتنا

إن هذه الأخوة التي نذكر بحقوقها أيها الإخوان هي الصخرة التي تنكسر عليها موجات المكر ومحاولات التلبيد من دعوتنا المباركة، وهي أول أسباب النصر ﴿وَأِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ يَدَكَ وَيَتَصَّرُهُ وَيَالْمُؤْمِنِينَ وَاللَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْقَضَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا آَلَفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ آَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: 62-64).

أيها الإخوان المسلمون..

لقد أعلنها نبينا صلى الله عليه وسلم واضحة صريحة: (إِيَّاكُمْ وَالطَّنَّ وَالطَّنَّ، فَإِنَّ الطَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَدَابَّرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) (متفق عليه)، وفهم المسلمون الأولون رضوان الله عليهم من الإسلام هذا المعنى الأخوي، وأفلت عليهم عقيدتهم في دين الله أخلد عواطف الحب والتألف، وأبيل مظاهر الأخوة والتعارف، فكانوا رجالاً واحداً وقلباً واحداً ويدا واحدة، فحقق الله لهم وبهم النصر والعز والتمكين.

فلنستمسك بهذه الأخوة الخالدة التي تزول الدنيا ولا تزول، وتفنى الأيام وهي أبقى من الزمن، ولنحرص على أداء حقوقها، واستشعار قيمتها، ولنحافظ على وُزْدِ الرابطة اليومي، والله معكم ولن يتركم أعمالكم، والله أكبر ولله الحمد.